المجاز

(تابع لما في الجزء السابع)

بيد أنّا لا بدّ ان نقول ان الوصول باللغة الى هذه الغاية لا يستتبّ لنا الا بعد تدارك ما فاتنا من اوضاع المتقدمين واستقرآء ما اشتملت عليهِ مصاحف اللغة من الفاظهم لان كل ما سبق لنا ذكرهُ في هذا المبحث من التنبيه على اقيسة الاشتقاق وطرق المجاز ليس الا بياناً لطريقة العرب في وضع لغتهم وتفريع بعض الفاظها من بعض ولكن هذا لا يغني عنا شيئاً في تحدّيهم والجري على سنّتهم ما لم نُحِط بالفاظهم انفسها لنتنزل منها منزلتهم والا كنا كمن يحاول بنآء بيتٍ ولا حجارة لديهِ . ومعلوم ان الباقي من اللغة في استعمالنا ونعني بهِ الفصيح من الفاظها او ما يمكن ردّهُ الى الفصيح ليس الا جانباً يسيراً منها اذا جُرّد بنفسهِ لا يكفي لأن يكون لغة قومٍ من الاقوام مهما انحطّت منزلتهم من الحضارة وقلّت حاجاتهم ولذلك ترانا نستعين بالالفاظ العاميّة تارةً والاعجمية أخرى لتصوير ما نرومهُ من الاغراض وذلك خلا أن جُلّ الفاظنا مقصورٌ على معانٍ لا تتعدى حاجات المعاش واغراض المعاشرة والمعاملة في ابسط حالاتهما بحيث لا تجد في كل معنًى الا اللفظ الكلي الذي يعبَّر بهِ عن جنس ذلك المعنى دون ما يقع تحتهُ من الجزئيات باعتبار ما تتصف بهِ من الاحوال المتباينة والهيئات الخاصة . وهذا ولا جرَم مما زاد اللغة في هذا العصر على ضيقها ضيقاً وربما اوقع في وهم الكثيرين من مزاولي الكتابة والتأليف انها قاصرة عن ادآء الاغراض المَدَنية والعلمية وانها لا تصلح الا

لرعاة الابل وسكان المضارب . ولكن من تصفح دواوين اللغة نفسها علم ان العرب لم تكن بمعزلٍ عن كثير من معاني الحضارة وان لم يبلغوا بها حضارة الفُرس مثلاً لعهدهم وقد كان منهم اهل تجارةٍ وصناعة وزراعة وبحارة كما يشهد بذلك المنقول من الفاظهم وكانت لهم خُلطةٌ مع الهند والفرس والروم من قبل زمن الاسلام بكثير . وهذا فضلاً عما حدث بعدهم في عهد الحضارة الاسلامية من الالفاظ العلمية والسياسية والصناعية وغيرها مما لا يخلو ان يسد بعض هذه الحاجة بنفسهِ ولو بتبديل شيءٍ من حدّهِ الذي كان متعارفاً عندهم لان المعتبر في الالفاظ صدقها على مدلولاتها في الجملة ولو اختلف حدّها في اعتبار المعتبر

ونحن نورد هنا بعض الالفاظ المشار اليها مما نطقت بهِ العرب قديماً ومما وُضع على عهد الاسلام ليكون مصداقاً لما ذكرناهُ وحاثًّا للمتأدبين والكتّاب على تصفح اسفار اللغة وكتب العلم واقتباس ما تتسع بهِ مذاهب التعبير امامهم . ولنأخذ من اوضاع العرب ما كانت تعبّر بهِ في بعض احوال التجارة وهو لا ريب من ابعد ما يقع في الظن انهُ كان موجوداً عندهم ومن اقل ما نطقوا بهِ فعلاً ولكنك لا تكاد تجدهُ اليوم حتى في كلام الخاصة فضلاً عن العامة وبهِ يقاس مبلغ ما انتهت اليهِ اللغة في هذا العهد من الضعف والاهمال . فمن ذلك قولهم فلانٌ من باعة الكسر اذا كان يبيع كل سلعةٍ وحدها وهو خلاف بيع الجملة وقد كسر بضاعتهُ وأختاها إختآء اذا باعها كذلك . وقولهم فلانٌ يشتري القَفَلات اي الجلَب الكثير جملةً واحدة . فان اشترى رزَماً رزَماً دون الاحمال فهي المقاضمة . فاذا اوجب البيع على

ان يترك ما اشتراهُ عند البائع ثم يأخذهُ اولاً فاولا فهو الوجيبة فاذا فرغ قيل قد استوفى وجيبتهُ . فاذا احتبس البائع السلعة حتى يقبض ثمنها قيل قد اعتقبها . ويقال اشترى هذا الشيء مقاطرةً وهو ان يزن جُلّةً من تمر او عِدلاً من حبّ او غير ذلك ثم يأخذ ما بقي على حساب الذي اخذهُ ولا يزنهُ . وتقول اعطيك من ضمْد هذه الغنم اي من جيّدها ورديئها من غير تمييز . ويقال ماكَسَهُ في البيع اذا استحطّ من الثمن وطلب الانتقاص وقد تماكس البيّعان أي البائع والشاري اذا تشاحّا على الثمن اي تجادلا عليهِ . وكايَسَهُ في البيع اذا داهاهُ حتى يغبنهُ . ويقال رجلٌ دَحِل اذا كان يماكس عند البيع حتى يستمكن من حاجتهِ . وروّقتُ لفلان في سلعتهِ اذا زدت في سومها وانت لا تريدها . وأرهن فلان في السلعة اذا غالى بها وبذل فيها مالهُ حتى ادركها . وتقول بعني هذه السلعة بصبْغ ثمنها لا وَكس ولا شَطط اي بالثمن الذي تستحقهُ من غير نقصٍ ولا زيادة . ويقول المغبون أَغمِضْ لي فيما بعتني وغَمِّضْ لي اذا طلب الزيادة منهُ لرداءتهِ او الحطّ من ثمنهِ وقد استحطَّهُ من الثمن واستوضع منهُ . ويقول البائع برئت اليك من عُهدة هذا المبيع اي من عيبٍ يكون فيهِ . وأبيعك الملَسَى لا عُهدة اي تملس بما اشتريت ولا اضمن تَبِعتهُ . وتقول حاباني فلانٌ في البيع ورافأني وأنباع لي في سِلعتهِ اي ساهلني وسامحني . وهذا القدر كافٍ في هذا المقام ومن تفقد كتب اللغة وجد غير ذلك ايضاً خلا ما يُذكَر في كتب المعاملات مما لم نكد ننقل شيئاً منهُ لشهرتهِ

ولا بأس ان نزيد هنا الفاظاً أخرى في معانٍ متداولة لا نقصد

المناسبة بينها وانما نذكر منها ما يحضر الذاكرة . وذلك كقولهم غملتُ الرجل وغمنتهُ اذا ألقيتَ عليهِ الثياب ليعرق . وقولهم دَرَّم اظفارَهُ اذا سوّاها بعد القصّ . وبلّغ الفارس تبليغاً اذا مدَّ يدهُ بعنان فرسهِ ليزيد في جريهِ . وقولهم جاءتني جَبْهةٌ من الرجال وهم الذين يسعون في حَمالةٍ اومَغرَم فلا يأتون احداً الا استحيا منهم . وقولهم لَصِب السيف ولَحِج اذا نَشِب في الغمد فلم يخرج ولَصِب الخاتم في الاصبع اذا تعذر نزعهُ . وضَرَس البنّاء اذا سدّ بين خَصاصهِ بحجر . واُكتار الفرس اذا رفع ذيلهُ عند العَدْو . وتدالحا الشيءَ بينهما اذا حملاهُ على عود . واغترق الفرسُ الخيلَ اذا خالطها ثم سبقها . وهَدَر الغلام اذا اراغ الكلام وهوصغير . وبزَم وتر العود اذا اخذهُ بين السبّابة والابهام ثم ارسلهُ . ولاوَص الشجرة اذا اراد قطعها بالفأس فنظر يمنةً ويسرةً كيف يأتيها . وناض الوتد ونحوهُ اذا عالجهُ لينتزعهُ . ومن ذلك قولهم كَلَّ السكين والسيف وهو قفاهُ . وصِغْو المِغرفة اي جوفها وجعلت هذا الشيء في صِغو كفي . والعَسيل مكنسة شعر يكنس بها العطّار بلاطهُ من العطر . والبصيرة ما يعلَّق على الباب من شُقّة قطن او غيرهِ . والكِلّة الستر الرقيق يخاط كالبيت يُتوقى بهِ البعوض . والقَرّية عود الشراع الذي في عرضهِ من اعلاهُ . والحِجار ما يحيط بالسطح من البناء يقي من السقوط . والمِسماة جورب الصيّاد . والطَلّاسة خرقةٌ يُمسَح بها اللوح وقد نَجَل الصبيُّ لوحهُ اذا محاهُ . والوفيعة الخرقة يمسح بها الكاتب قلمهُ . واللَحَق في النخل والكرم الثمر يخرج بعد ادراك الثمر الاول وقس على كل ذلك ما لا يُحصى

واما الالفاظ المولّدة فمما يلحق باللغة منها الإلهام للهداية المخلوقة في الحيوان جآء في كلام ابن خلدون وربما عبّر عنهُ بالهداية ايضاً . والوزائع للضرائب التي يوزّعها الحاكم وهي في كلام ابن خلدون ايضاً وكأن مفردها وزيعة على حدّ ضريبة وضرائب . وفي الاغاني ندَّر الرجل وتندَّر اذا جآء بالنادرة وربما قيل نادرَ وتنادر وقد ندَّر بفلان وتنادر عليهِ اذا جعلهُ مورد نادرتهِ . وفي كلام الثعالبي تطرَّف بالشيء اذا اتخذهُ طُرفةً وهي الشيء المستملَح . وجآء في الاغاني في اخبار يونس الكاتب لمسعود بن خالد المورياني من ابيات

تنشُرُ ديباجاً واشباههُ وهم اذا ما نشروا كَرْبَسُوا

اي جآؤا بالكرباس وهو نسيجٌ ابيض من قطن فارسيٌّ معرَّب فبنى منهُ فعلاً . وفي شفآء الغليل النيزك رمحٌ قصير فارسيٌّ معرَّب واستعملهُ الحكمآء في شعلةٍ تُرَى كالرمح وهو احد اقسام الشهُب . وفيهِ النجّاب اسمٌ للبريد وقد يُخصّ بمن يجيء على ناقةٍ نجيبة . قلنا ولعل هذا هو الاصل في هذه التسمية فيكون من باب ذي كذا على حدّ عطّار واشباههِ . وجآء في نفح الطيب بلادٌ معتدلة المزاج يريد اعتدال هوآئها نقلهُ عن مزاج البدن وهو ما رُكّب عليهِ من الطبائع . وفيهِ جمعت هذه الفوائد من مقيّدتي وهي الدفتر يكتب فيهِ الرجل ما يمرّ بهِ تذكرةً لنفسهِ . وقريبٌ منها التذكرة وهي الرقعة يُكتَب فيها الشيء ليُتذكر جآءت في كلام الحموي صاحب خزانة الادب . ومن ذلك المِزْوَلة للساعة الشمسية ذكرها الخفاجي في ريحانة الالبآء . والثريّا التي يُستصبَح بها وهي المعروفة في هذا القطر بالنَجَفة جآءت في كلام صاحب

نفح الطيب . والعقال لما يُشدّ على الرأس جآء في شعرٍ لأبي فراس . وخيال الظلّ للامثلة المشبَّحة من ورآء ستار وهو لفظٌ مشهور وغير ذلك مما يطول استقرآؤهُ فنكتفي منهُ بما ذُكر

واما الاصطلاحات الخاصّة فمنها في مواضعات كتّاب ديوان الخراج الحَشْريّ وهو ميراث من لاوارث لهُ وهو المعروف في ايامنا بالمحلول . والإقطاع وهو ان يُقطع السلطان رجلاً ارضاً فتصير لهُ رقبتها وتسمى تلك الأَرَضون قطائع واحدتها قطيعة . والطُعمة وهي ان تُدفع الضيعة الى رجلٍ ليعمرها ويؤدّي عشرها وتكون لهُ مدة حياتهِ فاذا مات ارتُجعت من ورثتهِ والقطيعة تكون لعقبهِ من بعدهِ . والتسويغ وهو ان يُترَك للرجل شيءٌ من خراجهِ في السنة وكذلك الحطيطة والتريكة . ومن مواضعات كتاب ديوان الجيش الأَطماع وتسمى الرَزَقات وهي مرتّبات الجند والعمال . والتلميظ وهو ان يُطلَق لطائفةٍ من المرتزقين بعض ارزاقهم قبل ان يستحقوا وقد لُمّظوا بكذا وكذا . والمماصّة وهي ان يُحبَس عن القابض لمالهِ ما كان تلمظهُ واستلفهُ . ومن مصطلحات المهندسين الشكل الناري وهو جسمٌ يحيط بهِ اربعة سطوح مثلثات متساوية الاضلاع . والشكل الارضي وهو جسمٌ يحيط بهِ ستة سطوح مربعات متساوية الاضلاع والزوايا على هيئة كعب النرد وهو المعروف بالمكعّب . والشكل الهوآئي وهو جسمٌ يحيط بهِ ثمانية سطوح مثلثات متساوية الاضلاع والزوايا . والشكل الفَلَكي وهو جسمٌ يحيط بهِ اثنا عشر سطحاً مخمسات متساوية الاضلاع والزوايا الى غير ذلك . ومن اصطلاحات اهل الموسيقى اوتار العود الاربعة اغلظها البَمّ ويليهِ المَثلَث ثم المَثنَى ثم الزِير

وهو ادقُّها . والملاوي وهي الآذان التي تُلوَى عليها الاوتار . ومشط العود وهو الشبيه بالمسطرة الذي تشد عليهِ الاوتار من تحت انف العود وهو مجمع الاوتار من فوق . والابريق وهو اسمٌ لعنق العود بما فيهِ من الآلات . والمضراب وهو الذي تُضرَب بهِ الاوتار . والجسّ وهو نقر الاوتار بالسبابة والابهام دون المضراب على التشبيه بجسّ العرق وقد تقدّم البزم بمعناهُ . والحزق وهوشدّ الوتر ونقيضهُ الارخآء والحطّ[1] . وقد اطلنا الى ما لعلهُ ادّى الى سأم المطالع فنمسك على هذا القدر ومن تتبع هذه النظائر في كتبهم وجد من كل ذلك ما يملأ مجلداتٍ كثيرة وانما اوردنا هذه الامثلة القليلة بياناً لما كانت عليهِ اللغة في عهد السلف مما لم يضل اليها منهُ الا النزر اليسير. ومن غريب ما يُذكَر هنا انك تجد كثيراً من هذه الالفاظ في لغات الافرنج منقولةً بلفظها العربيّ وربما اضطررنا ان نأخذ بعضها من لسانهم كالكُحل (alcool) والغرّافة (carafe) وغيرهما فسبحان مقلب الاحوال

(ستأتي البقية)

رياضة الحيوان

المراد بالرياضة إعمال عضلات الجسم لتقويتها وهي مما لا يستغني عنهُ الحيوان كما لا يستغني عنهُ الانسان ولا سيما في زمن نموّ الجسم ولذلك ترى اللعب والاكثار من الحركة طبيعياً في الصغير من الانسان وغيرهِ . ومن

(١) كل هذا عن كتاب مفاتيح العلوم لمحمد بن احمد الخوارزمي من اهل المئة الرابعة للهجرة باختصارٍ وتصرفٍ قليل